جامعة المدينة العالمية
Al-Madinah International University

مجلة الرّاسخون
ARRASIKHUN JOURNAL

ARRASIKHUN JOURNAL

PEER-REVIEWED INTERNATIONAL JOURNAL

مجلّة الرّاسخون

مجلّة عالميّة محكّمة

ISSN: 2462-2508

Volume 11, Issue 1, Mar 2025

الإصدار الحادي عشر، العدد الأوّل، مارس 2025

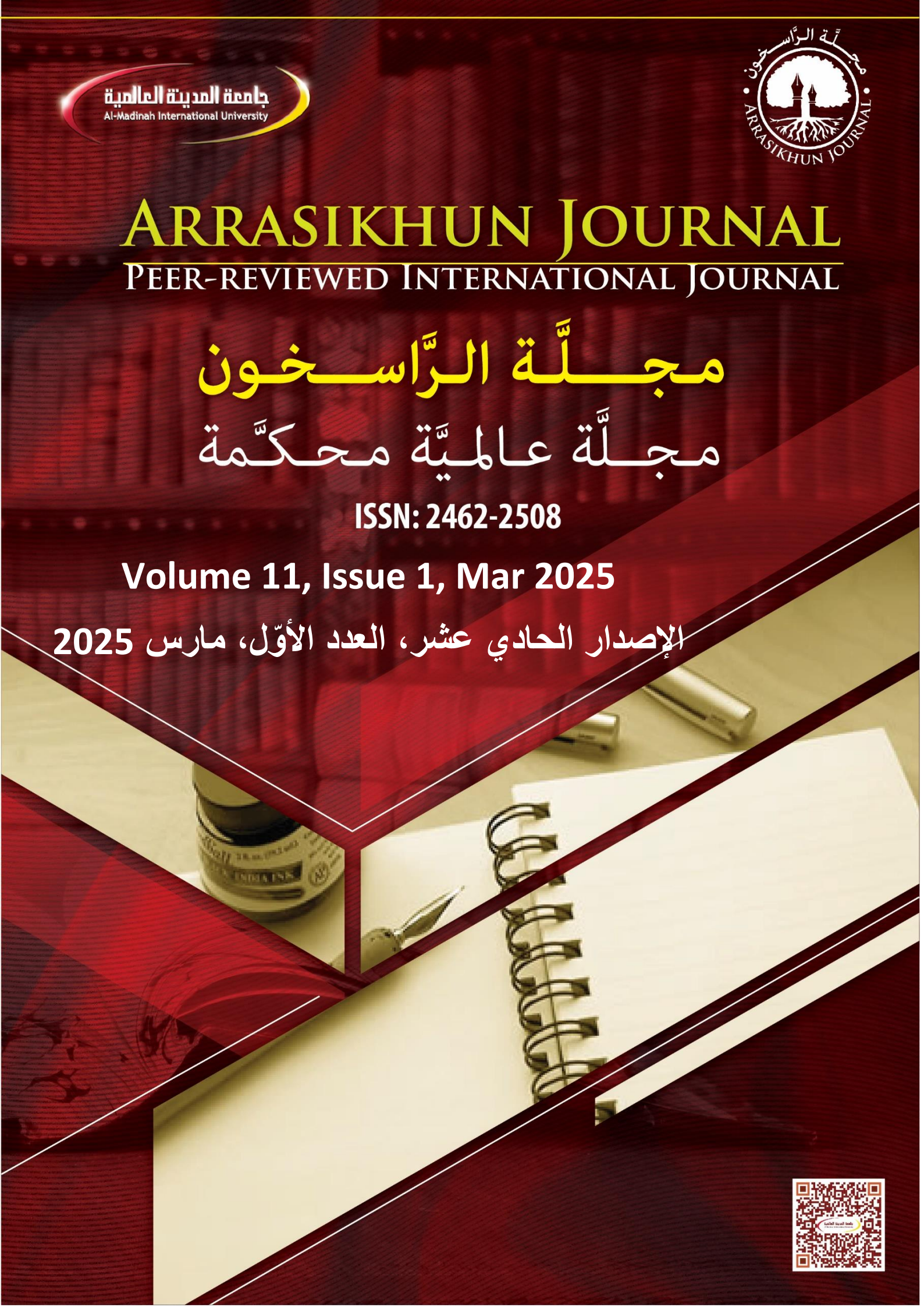

مجلة الرّاسخـــون

مجلة عالمية محكّمة

ISSN:2462-2508

أبحاث الإصدار الحادي عشر، العدد الأوّل، مارس 2025

أولًا: الدّراسات الإسلامية	
البحث	صفحة
1- أحكام إثبات الصّغير وفق نظام الإثبات السعودي دراسة مقارنة.....	12-1
2- شبهات المشركين في القرآن الكريم ودحضه لها.....	43-13
3- التّقعيد الأصولي لأحكام التّروك	70-44
4- سياق ورود (رب العالمين) في سورة الشعراء دراسة مقارنة.....	91-71
5- الاستدلال بقاعدة الحاجة تنزل منزلة الضرورة في المعايير الشرعية لهيئة المحاسبة والمراجعة للمؤسسات المالية الإسلامية - دراسة وصفية تطبيقية.....	118-92
6. القياس الخفي دراسة أصولية تطبيقية على النوازل المعاصرة في ماليزيا (باب الطهارأنموذجا)	154-119
7. جهود القاضي عبد الرحمن بن خلدون في القضاء.....	180-155
8. الحكم والمقاصد الشرعية في عقوبة الحدود والجنايات.....	199-181
9. النوازل العقدية في عصر النبوة والخلافة الراشدة (ملامحها ومناهج معالجتها وفوائدها)..	220-200
10. اختيار رئيس الدولة دراسة مقارنة بين الفقه الإسلامي والدستور الصومالي.....	248-221
11. المدرسة العقلية الحديثة جذورها واتجاهاتها.....	278-249

ثانياً: الدّراسات اللّغوية	
البحث	صفحة
12. الاستبدال وأثره في الاستنباط الفقهي من الحديث النبوي الشريف بابي: الصوم والحج أنموذجًا.....	304-279

أعضاء هيئة تحرير المجلة:

رئيس هيئة التّحرير : الأستاذ الدّكتور / داود عبد القادر إيليغا

مدير هيئة التّحرير: الأستاذ المساعد الدّكتور سامي سمير عبد القويّ

نائبة مدير هيئة التّحرير:

الأستاذة المساعدة الدكتورة/ عايدة حياتي بنت محمد سندي

سكرتيرة المجلة: الأستاذة/ دينا فتحي حسين

Arrasikhun Journal, Volume 11, Issue 1, March 2025

ISSN: 2462-2508

جهود القاضي عبد الرحمن بن خلدون في القضاء

The efforts of Judge Abdul Rahman ibn Khaldun in the judiciary.

عبدالرحمن خالد العتري

باحث – كلية العلوم الإسلامية –جامعة المدينة العالمية – بماليزيا

arar1410@hotmail

د. مجدي عبد العظيم فرج

أستاذ مشارك بقسم الفقه وأصوله– كلية العلوم الإسلامية –جامعة المدينة العالمية – بماليزيا

magdy.azim@mediu.my

ملخّص البحث

يدور هذا البحث حوول جهود القاضي عبد الرحمن بن خلدون في القضاء وذلك من خلال التعرض لإشكاليته الرئيسية وهي عرض تلك الجهود والإسهامات للقاضي عبد الرحمن بن خلدون في مجال القضاء، وذلك يكون من خلال طرح بعض الأسئلة المعبرة عن ذلك من خلال التعريف بالقاضي عبد الرحمن بن خلدون والتعرف على أثر شخصيته في عمله كقاضي القضاة، ومعرفة إسهامات القاضي عبد الرحمن بن خلدون في مجال القضاء، ومعرفة أثر الصراعات والمنافسات السياسية على شخص عبد الرحمن بن خلدون كقاضي. وقد اتبع الباحث المنهج الاستقرائي والمنهج التحليلي في بحثه، وتوصل الباحث إلى أهم النتائج التي توصل إليها. أصبح القضاء في عهده ذات سلطة مستقلة ونافذة لا يتدخل احد في مهام القاضي، القاضي عبد الرحمن بن خلدون كان من القضاة الذين اسمهموا اسهامات كبيرة في مجال القضاء، وحافظوا على استقلاله ونفاذ أحكامه في حق المتخاصمين. كذلك القاضي ابن خلدون أسهمت النشئة العلمية له وكثرة الأحداث السياسية في المجتمع في عصره في مواجهة الكثير من الصراعات المجتمعية والسياسية.

الكلمات المفتاحية: قضاء، الإصلاح القضائي، نفاذ الأحكام.

ISSN: 2462-2508

Abstract

This research revolves around the efforts of Judge Abdul Rahman bin Khaldun in the judiciary, through addressing its main problem, which is presenting those efforts and contributions of Judge Abdul Rahman bin Khaldun in the field of judiciary, and this is done by posing some expressive questions about that through defining Judge Abdul Rahman bin Khaldun and getting to know Based on his personality in his work as Chief Justice, and knowing the contributions of Judge Abdul Rahman Ibn Khaldun in the field of judiciary, and knowing the impact of political conflicts and rivalries on the person of Abdul Rahman Ibn Khaldun as a judge. The researcher followed the inductive and analytical approaches in his research. The researcher reached the most important results he reached. The judiciary during his reign became an independent and effective authority, and no one interfered in the judge's duties. Judge Abdul Rahman Ibn Khaldun was one of the judges who made significant contributions to the field of the judiciary, and maintained its independence and the enforceability of its rulings on litigants. Likewise, Judge Ibn Khaldun's scientific upbringing and the many political events in society during his time contributed to confronting many societal and political conflicts..

Keywords: Judiciary, Judicial Reform, Enforcement of Judgments.

ISSN: 2462-2508

المقدمة

إن الحمد لله تعالى نحمده، ونستعينه، ونستغفره، ونعوذ بالله – تعالى – من شرور أنفسنا وسيئات أعمالنا، من يهد الله فلا مضل له، ومن يضلل فلا هادي له، وأشهد أن لا إله إلا الله وحده لا شريك له، وأشهد أن محمدًا عبده ورسوله. ﴿يَٰٓأَيُّهَا ٱلَّذِينَ ءَامَنُواْ ٱتَّقُواْ ٱللَّهَ حَقَّ تُقَاتِهِۦ وَلَا تَمُوتُنَّ إِلَّا وَأَنتُم مُّسۡلِمُونَ ١٠٢﴾ (1).

وبعد:

جاءت الشريعة الإسلامية، لتحقيق مصالح الناس، ودرء المفاسد عنهم، ولا شك أن القضاء في المجتمع الإنساني، هو إحدى الوسائل المحققة لهذه المصالح، فبه تحمى الحقوق وتصان عن الانتهاك، ويزال بوساطته تعدي الناس بعضهم على بعض، وهو أحد المناصب العظيمة التي تحقق العدل وتمنع الظلم، وترسي الحق، والعدل هو أحد مقاصد الشريعة الإسلامية الغراء، والقضاء وسيلة من أعظم وأسمى وسائل تحقيق العدل بين الناس، في العلاقات الاجتماعية، والاقتصادية، والسياسية وكل نشاط من أنشطة الحياة بين الأفراد والدول، سواء أكانت هذه العلاقات بين المسلمين أم بينهم وبين غيرهم.

ولمكانته السامية الجليلة تولاه الرسل فحكموا بين الناس، وولوه غيرهم، قال تبارك وتعالى: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةً فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ﴾ (2)، ومن هذا المنطلق تشجع الباحث في تسليط الضوء على جهود شخصية تميزت بنتاج إنساني واسع، في جوانب الحياة المختلفة، هي شخصية القاضي عبد الرحمن بن خلدون، قاضي قضاة المالكية في مصر والتعرف على مدى إسهامه في الإصلاح القضائي في عصره من خلال الوقوف على مدى ثراء تلك الشخصية الكبيرة التي أثرت في جوانب عديدة على مدار تراثنا الإسلامي وأهمها الجانب القضائي والتعرف على مدى تأثيره في هذا المجال في عصره.

و أهمية هذا البحث في النقاط التالية:

التعريف بالقاضي عبد الرحمن بن خلدون وأثر شخصيته في عمله كقاضي القضاة.

بيان إسهامات القاضي عبد الرحمن بن خلدون في مجال القضاء.

بيان أثر الصراعات والمنافسات السياسية على شخص عبد الرحمن بن خلدون كقاضي.

- **مشكلة البحث:**

تتلخص مشكلة البحث في تسليط الضوء على الجانب القضائي في شخصية القاضي عبد الرحمن بن خلدون عندما كان قاضي قضاة المالكية في مصر وإسهاماته في الإصلاح القضائي في عصره في ذلك الوقت.

- **أسئلة البحث:**

1- من القاضي عبد الرحمن بن خلدون وما أثر شخصيته في عمله كقاضي القضاة

2- ما إسهامات القاضي عبد الرحمن بن خلدون في مجال القضاء.

3- ما أثر الصراعات والمنافسات السياسية على شخص عبد الرحمن بن خلدون كقاضي.

- **أهداف البحث:** يهدف البحث إلى:

(1) سورة آل عمران الآية رقم 102.

(2) سورة ص الآية رقم26.

ISSN: 2462-2508

1- التعريف بالقاضي عبد الرحمن بن خلدون وأثر شخصيته في عمله كقاضي القضاة.
2- بيان إسهامات القاضي عبد الرحمن بن خلدون في مجال القضاء.
3- بيان أثر الصراعات والمنافسات السياسية على شخص عبد الرحمن بن خلدون كقاضي.

منهج البحث.

اعتمد الباحث في رسالته المنهج الاستقرائي وذلك من خلال تتبع حياة ابن خلدون في مجال القضاء وقضاياه ومسائله التي تصدى لها.

وكذلك اعتمد الباحث المنهج التحليلي، من خلال تحليل مواقف ورؤى ابن خلدون في المسائل المتعلقة بالقضاء وكيفية معالجتها والخروج منها بحكم واضح وصريح يعكس هيبة هذا المنصب الخطير الذي جمع فيه ابن خلدون ما بين سلطة الحكم ونصفة القضاء.

حدود البحث.

الحدود الزمنية لهذا البحث تتمثل في تغطية الفترة الزمنية التي عاشها ابن خلدون حتى استقراره في مصر واعتلائه منصب قاضي قضاة المالكية في مصر.

الحدود الموضوعية تتمثل في تغطية كل ما يتعلق بالقضاء ومهام ممارسته من القاضي ابن خلدون خلال فترة حياته.

الدّراسات السابقة.

لم يقف الباحث على دراسة تتناول هذا الجانب من شخصية عبد الرحمن بن خلدون، ومن الدراسات التي استعان بها الباحث للتعرف على شخصية هذا العالم الفذ والاستفادة منها ما يلي:

1- أبو خلدون ساطع الحصري، **دراسات عن مقدمة ابن خلدون**، 13 يوليو 2018م، دارت هذه الدراسة حول عالمٌ من علماء العرب والإسلام برع في علم الاجتماع والفلسفة والاقتصاد والتخطيط العمراني والتاريخ وبنى رؤيته الخاصة في قراءة التاريخ وذلك بتجريده من الخرافات ليكون أوّل من طبق المنهج العلمي على الظواهر الاجتماعية.

وتختلف هذه الدراسة عن دراسة الباحث في إلهاء القت الضوء على مجمل جهود ابن خلدون سواء في علم الاجتماع والفلسلفة والاقتصاد والتخطيط العمراني والتاريخ والتعرف على رؤيته الخاصة في قراءة التاريخ بعيدا عن الخرافات.

وهو ما أفاد الباحث في التعرف على شخصية هذا العالم الفذ في مجالات وفنون متنوعة مما ترجم لنا حقيقة موسوعيته وثراءه العلمي والفكري.

بينما دراسة الباحث اهتم بدراسة الجانب القضائي في هذه الشخصية التي تعتبر أحد إبداع وإنجازات هذا العالم الكبير باعتباره قاضي قضاة المالكية في مصر.

2- محمد الخضر حسين، **حياة ابن خلدون، ومُثل من فلسفته الاجتماعية**، هنداوي للتعليم والثقافة، بتاريخ 2012/8/26م، دارت هذه الدراسة حول حياة الفيلسوف أبي زيد عبد الرحمنً بن خلدون ونموذجا من فلسفته الاجتماعية، ونشأته وأطوار حياته وعرض جملة من فلسفتهُ التي طِويَت صحائفها في خزائن كتبنا، ودرسها الأجنبي، ثم ضرب لها في القارة الأوروبية أمثلة تشهد بصحتها، وهي بلا شك قد أفاد الباحث في

ISSN: 2462-2508

دراسته حول جهود هذا العالم الكبير وتنوع معارفه في مختلف الفنون والمعارف.

ويختلف هذا البحث عنه في أنه يركز على الجانب القضائي

3- إسماعيل سراج الدين، **ابن خلدون : إنجاز فكري متجدد**، إعداد وتحرير: محمد الجوهري، محسن يوسف، الإسكندرية، مصر، مكتبة الإسكندرية، 2008م، ودارت هذه الدراسة حول ابن خلدون باعتباره عالم سياسي، وإلقاء الضوء على فلسفته في التاريخ وتأسيس علم الاجتماع، والإشارة إلى علم السياسة وميدان العلاقات الدولية، وكيف كانت جهوده في هذا المضمار، ومدى تأثيره على علماء الغرب والعرب.

والباحث في دراسته هذه وإن كان تركيزه على الجانب القضائي إلا أنه استفادته من هذه الدراسة في عرضها لحجم الخبرات التي اكتسبها ابن خلدون في مجالات متنوعة وانعكاس تلك الخبرات في ممارسته لمهنة القضاء وكيفية إدارة مهامها.

4- الدكتور فؤاد عبد المنعم أحمد، **ابن خلدون ورسالته للقضاة (مزيل الملام عن حكام الأنام)**، دار الوطن، 30 ديسمبر، 2008م. عرض المؤلف من خلال هذا المؤلف الكشف عن منهج ابن خلدون في القضاء وأسلوبه في ذلك، وتناول ابن خلدون للمقاصد من خلال القواعد الفقهية التي وضعها في ذلك، والإشارة إلى موسوعيته وإلمامه بثقافته الإسلامية، وإشارته بشكل رئيس إلى خطة المظالم ومدى حاجتها إلى سطوة السلطنة ونصفة القضاء، واعتماد الأمارات، والقرائن، وتأخير الحكم إلى استجلاء الحقائق، واستحلاف الشهود وحمل الخصمين على الصلح، والتركيز على شخصيته الفقهية بوقوفه على كتب المذهب المالكي القديمة والحديثة، وما شهد له في إيقاع الحكم على أحد كبار رجال الدولة وتعزيره، والإشارة إلى مصنفاته العلمية المتنوعة في فنون متعدد، وهذه الدراسة لا شك أنها أفادت الباحث كثيرا في رسالته في التعرف على شخصية هذا العالم الكبير وإبراز جهده العلمي الكبير في جانب القضاء.

بينما دراسة الباحث فيها تركيز أكبر على جانب القضاء وممارسته من قبل ابن خلدون، مستعينا بذلك بخلفيته الفقهية باعتباره قاضي قضاة المالكية في مصر إشارة إلى مكتسبات خبراته التوظيفية في شتى المجالات سواء الاجتماعي منها أو السياسي.

5- رؤية ابن خلدون لإصلاح مؤسسات القضاء، دكتوراه، قطر، عبد المعين الطلفاح.

6- نقد ابن خلدون للفلسفة، عبد الأمير الأعسم، جملة آدااب المستنصرية، العدد 47-2007، بحث محكم.

7- ابن خلدون وريادته لعلم تفسير التاريخ، عبد الحليم عويس، مجلة البحوث الإسلامية، العدد 15 عام 1986.

8- ابن خلدون من منظور الآخر، لمحة حول القراءات الايمانية، محمد التركي، المجمع التونسي، للعلوم في الآداب، بيت الحكمة مؤتمر عام 2006.

9- العرب ف مقدمة ابن خلدون، جعفر عبد الأمير الياسين، مجلة كلية الآداب جامعة البصرة، العدد 16، عام 2006.

ISSN: 2462-2508

10- ابن خلدون مؤرخ تاريخ العرب البرير في كتاب العبر، عبد الحميد سعد زغلول، عالم الفكر، المجلس الوطني للثقافة والفنون، مجلد 14، عدد 2، عام 1983م.

11- ابن خلدنون جغرافيا، مصطفى محمد خوجلي، مجلة القطيف، نادي المدينة المنورة الأدبي، مجدل 7، عدد 13، 14، عام 1997م.

12- العرب والزراعة دراسة نقدية لموقف العلامة ابن خلدون، جمال البوص، مجلة العلوم الاجتماعية والانساب، جامعة محمد بوضياف، العدد 12 عام 2017.

13- الدولة والحضارة عند ابن خلدون، محمد منده، مجلة دراسات تاريخية، جامعة دمشق، العدد 69، 70 المجلد 20 عام 19999م.

حيث ألّف طه حسين كتاب (فلسفة ابن خلدون الاجتماعيّة)، وألّف علي الوردي كتاب (منطق ابن خلدون في ضوء حضارته وشخصيته)،، وألّف محمّد عابد الجابري كتاب فكر ابن خلدون: العصبية والدولة، وألّف طه حسين باللغة الفرنسية كتاب فلسفة ابن خلدون الاجتماعية: تحليل ونقد وغيرها من الكتب.

وفي تفسير قوله تعالى : {ويستفتونك في النساء قل الله يفتيكم فيهن }[1]قال عبد الحق بن عطية" :أي يبين لكم حكم ما سألتم"[2].

- **أهمية البحث وأسباب اختياره : وتتمثل في الآتي:**

1- أهمية القضاء في ضبط حياة البشر وحماية الحقوق ودرء المفاسد.

2- شخصية كالقاضي عبد الرحمن بن خلدون عرف عنه بأنه عالم موسوعي كان دافعا لإلقاء مزيد من الضوء على الحوانب التي لم تحظ بتسليط الضوء عليها بشكل كاف، ولا شك أن الجانب القضائي وممارسته له، تستحق الدراسة ومعرفة أسلوبه ونهجه في ممارسة القضاء وكيف تناول هذه المهام وقام بها.

3- أن دراسة جهود وتجارب القاضي ابن خلدون في مجال القضاء يعيننا على الاستفادة منها في المجال القضائي خصوصا الوظائف العامة عموما .

4- التعرف على اسهامات القاضي ابن خلدون في ميدان الأصلاح القضائي وتأثيره والاستفادة منها في الواقع المعاصر.

- **هيكل البحث: يتكون البحث من مقدمة وثلاثة فصول وخاتمة:**

المقدمة: وتشتمل على أهمية البحث وأسباب اختياره وأهدافه ومشكلته وأسئلته ومنهجه وحدوده والدراسات السابقة

- وهيكل البحث:
- الفصل الأول: ترجمة القاضي عبد الرحمن بن خلدون
- المبحث الأول: التعريف بالقاضي عبد الرحمن بن خلدون
- المطلب الأول: اسمه ونسبه ومولده.
- المطلب الثاني: نشأته وحياته.
- المطلب الثالث: شيوخه ومؤلفاته.

(1) النساء، الآية : 127.

(2) المحرر الوجيز، 4/ 267.

ISSN: 2462-2508

- المطلب الرابع: وفاته ودفنه.

الفصل الثاني: دور ابن خدون في استقرارا القضاء في عصره

- المبحث الثاني: السياسة القضائية ودور ابن خلدون في إصلاحها.
- المطلب الأول: لمحة عن السياسة القضائية.
- المطلب الثاني: أسباب كثرة توليه وعزل ابن خلدون عن القضاء
- المطلب الثالث: دور ابن خلدون في الإصلاح القضائي.

الفصل الثالث سياسة القضاء في عصر ابن خلدون ودوره الاصلاحي

- المبحث الثالث: أثر الاصطرابات والظروف السياسية في شخصيته ابن خلدون

المطلب الأول: لمحة عن السياسة القضائية في عصر ابن خلدون

المطلب الثاني: المطلب الثاني: أسباب كثرة توليه منصب القضاء وعزله من هذا المنصب

- الخاتمة، أهم النتائج .

الفصل الأول: ترجمة القاضي عبد الرحمن بن خلدون

المبحث الأول:

المطلب الأول اسمه ونسبه ومولده:

أسمه : هو وليُّ الدين عبد الرحمن بن محمد بن محمد بن محمد بن الحسن بن محمد بن جابر بن محمد ابن إبراهيم بن عبد الرحمن بن خلدون الخضرميّ، وهو المكنّى بأبي زيد، حيثُ ذكر ابن خلدون نسبه بهذا الشكل وقال:" لا أذكر من نسبي إلى خلدون غير هؤلاء العشرة"، كما يتّصل نسبهُ إلى الصحابي وائل بن حجر، الذي قدِم إلى النبي– صلّ الله عليه وسلم– فبسط له رداءه، وأجلسهُ ودعا لهُ[1].

أصله: لم يتفق العلماء على أصل ابن خلدون، بل اتخذوا في ذلك مذهبين، الأول منهما يرى أنّه عربي الأصل ويمثله ساطع الحصريّ، أمّا الفريق الثاني فيمثله طه حسين ومحمد عبدالله عنّان، حيث يريان ومن معهما أنّ أصل ابن خلدون أمازيغي، إلّا أنّ ما لا شكّ فيه عراقة نسبه، وعلوِّ شأن قومه وارتفاع مترلتهم، لا سيما بعد أنّ استقروا في مدينة الأندلس، حيث تسلموا مناصب مرموقة في البلاد، وحافظوا على مكانتهم فتنقلوا ما بين رئاسة علمية وأخرى سلطانيّة، فخرج منهم العالم، والأديب، والمؤرخ، والاجتماعي، والحكيم، وكان لابن خلدون نصيب من الرئاستين معاً، فهو الذي كان والياً لقضاء المالكيّة في مصر، حيث عُرف عنه الزهد والانقطاع عن السياسة في آخر أيام حياته، ومجالسة أصحاب العلم[2].

مولده: ولد في رمضان عام 732 هجرية في مدينة تونس زمن الدولة الحفصية. الموافق 1332م[3]

وحذر ابن خلدون القضاة من صحبة الجاهلين ممن لا رأي لهم، ومن مصاحب يتوصل بصحبته إلى أغراض

(1) محمد حسين، حياة ابن خلدون و مُثل من فلسفته الاجتماعية، مصر: وكالة الصحافة العربية، صفحة 10,11.

(2) الفكر الاقتصادي عند العلامة ابن خلدون مقارنا مع النظريات الاقتصادية الحديثة، مجلة دراسات اقتصادية اسلامية، ص68، 70، 71، 74، 75، 80.

(2) الزركلي، الاعلام، 330/3.

ISSN: 2462-2508

فاسدة، فقال في هؤلاء: "فإن كثيرا منهم لأسحر من هاروت وماروت في التحيل على الصحبة."

ثم زود ابن خلدون القاضي بالمنهج الذي يسلم به في قضائه إذا ما عرضت عليه القضية، وذلك بأن يتأنى حتى يتفهم مراد المدعي والمدعى عليه؛ فإذا ما وضحت له القضية كالشمس ليس دونها حجاب؛ يستحضر قول الله تعالى: ﴿فَٱحۡكُم بَيۡنَهُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ﴾ [المائدة: 48]، وقوله تعالى: ﴿وَمَن لَّمۡ يَحۡكُم بِمَآ أَنزَلَ ٱللَّهُ فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡكَٰفِرُونَ﴾[المائدة: 44]، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلظَّٰلِمُونَ﴾ [المائدة: 45]، ﴿فَأُوْلَٰٓئِكَ هُمُ ٱلۡفَٰسِقُونَ﴾ [المائدة: 47]، ثم يستحضر حكم تلك القضية لا برأي ولا باستحسان؛ بل بالنقل الصريح، أو ببذل الجهد في درك الحق من أهل الاجتهاد، وبطرقه المعتبرة، وإذا ما تركبت القضية من عدة أبواب؛ فليميز كل باب محله منها، ويأخذ ما يتعين اعتباره، ويلغي ما لا مدخل له في الحكم، وقبل أن يلزم بحكمه؛ يعمل على المصالحة بين الخصمين، من غير تحليل حرام، ولا تحريم حلال، فإن امتنعا عن الصلح؛ استحضر قول الله لنبيه داود: ﴿يَٰدَاوُۥدُ إِنَّا جَعَلۡنَٰكَ خَلِيفَةٗ فِي ٱلۡأَرۡضِ فَٱحۡكُم بَيۡنَ ٱلنَّاسِ بِٱلۡحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ ٱلۡهَوَىٰ فَيُضِلَّكَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِۚ إِنَّ ٱلَّذِينَ يَضِلُّونَ عَن سَبِيلِ ٱللَّهِ لَهُمۡ عَذَابٞ شَدِيدُۢ بِمَا نَسُواْ يَوۡمَ ٱلۡحِسَابِ ٢٦﴾ [ص: 26]، ثم يحكم ويلزم.

وإن لم يتبين للقاضي الحكم لغبش في الواقعة استوضحها، أو لعدم استحضار الحكم، أو لغيره من الأسباب؛ رجع فيه إلى من يثق بعلمه وعقله وشاورهم، فإذا ما رجع إليه الجواب؛ كرر النظر فيه، وراجع الكتب المعتمدة حتى يتضح له الحال جدا، فإن لم يزل عنه الريب؛ توقف واعتذر عن الحكم، وذلك أسهل من اقتحام خطر: «ومن وقع في الشبهات وقع في الحرام»، ونبَّه القاضي إلى ضرورة الالتفات إلى الأعمال التي تدخل تحت ولايته كالحفاظ على أموال الأيتام، والأوقاف ومنع الظلمة من الاستيلاء عليها ورد ما أخذوه منها.

المطلب الثالث: شيوخه ومصنفاته:

شيوخ ابن خلدون:

أولا: التعريف بشيوخه والتعرُّف عليهم، على توجُّهاتهم الفكرية وعلى مدى تأثيرهم في فكره، إضافة إلى والده، اكتفى ابن خلدون باستعراض سبعة وعشرين شيخا من بين مجموعة كبيرة من الشيوخ الذين تلقّى عليهم بطريقة أو بأخرى نوعا أو أنواعا من العلوم السائدة في عصره وهم:

1) علماء و فقهاء إفريقية:

1. والده محمد الذي أخذ عنه « صناعة العربية، وله بصر بالشعر وفنونه» (510/7) توفي سنة 749 هـ /1348م بالطاعون خلال تلك السنة وابن خلدون لم يتجاوز 16 سنة شمسية.

2. محمد بن برّال الأنصاري، أبو عبد الله. وهو أندلسي، بلنسي من جالية الأندلس، تتلمذ على مشيخة بلنسية قبل هجرته إلى إفريقية، أخذ عنه ابن خلدون عدة مواد علمية، درس عليه القرآن والقراءات برواية يعقوب وعرض عليه قصيدتي الشاطبي اللاّميّة والرائية المعروفة بـــ"حرز الأماني وعقيلة أتراب الفضائل في القراءات والرسم القرآني" كما درس معه كتابي التفسير لأحاديث الموطأ والتمهيد على موطأ مالك لابن عبد البر وكتاب تسهيل القواعد لابن مالك الذي جمع فيه قواعد النحو

ISSN: 2462-2508

بإيجاز، إضافة إلى مختصر ابن الحاجب في الفقه المالكي ويسمى المختصر الفقهي والفرعي والجامع بين الأمهات والذي عني بشرحه العديد من فقهاء المغرب.

3. الحصايري : أبو عبد الله محمد العربي : درس عنه كذلك كتاب التسهيل المذكور آنفا وأخذ عنه علوم القرآن والحديث والفقه والبعض من علوم العربية.

4. ابن الشاوش: أبو عبد الله محمد الزرزالي أو المزازي: يشير ابن خلدون إلى اسمه فقط ولا يمكّننا من المزيد حول شخصيته ولا على أنواع الدروس التي أخذها عنه.

5. ابن القصّار: أبو العباس أحمد، أخذ عنه علوم النحو ويشير ابن خلدون إلى أن لشيخه هذا شرحا لقصيدة البردة وهذا دليل على إمكانية اهتمام هؤلاء الفقهاء والمدرسين بعدة مواد وعلوم تجمع بين التفسير والعربية والتصوف.

6. .ابن بحر: أبو عبد الله محمد، أخذ عنه علوم اللسان وشجعه على حفظ عديد القصائد بما فيها الأشعار الستة وشرح شعر أبي تمام ضمن قصائده المتضمنة في كتاب الحماسة، هذا الشرح قام به الأعلم الشمنتري الأندلسي ويذكر ابن خلدون انه حفظ الكثير من شعر أبي تمام والمتنبّي ومن الأشعار الواردة بكتاب الأغاني لأبي الفرج الأصفهاني والذي نقل عنه ابن خلدون نصوصا طويلة نجدها بالكتاب الأول من العبر وخاصة بفصل : " في أن نهاية الحسب في العقب الواحد أربعة آباء." (170/1)

7.الوادآشي : شمس الدين أبو عبد الله محمد بن جابر القيسي الأندلسي توفي (ت : 749 هـ / 1348م) بالطاعون وذكره ابن القنفد كرَاوية، ويشير ابن خلدون أنه أجازه إجازة عامة في كتب كثيرة في العربية والفقه واعتبره إمام المحدثين فسمع عنه عديد الأحاديث النبوية من موطأ مالك وصحيح مسلم، وصفه بصاحب الرحلتين، أي أنه قام برحلتين إلى الشرق الأولى سنة (720 هـ /1320م) والثانية سنة (734 هـ /1333). ترجم له العسقلاني قائلا: « عارفا بالنحو واللغة والحديث والقراءة ... استكثر من الرواية حتى صار راوية الوقت«.

8. الجيَّاني : أبو عبد الله محمد بن عبد الله [المعروف بالبغدادي [لم نتحصل على أية معطيات حوله وابن خلدون يشير لاسمه فقط وبأنه أخذ عنه الفقه.

9. القصيّر: أبو القاسم محمد، درس معه ابن خلدون كتاب التهذيب في اختصار المدوّنة لأبي سعيد البراذعي، درّس "بمدرسة ابن اللوز"، يباشر فيها تفسير القرآن دون حفظه، « فأنكروا عليه ذلك وقال له أحد أصحاب الزوايا وهو أبو الحسن علي العبيدلي : لا يجوز لك تفسير القرآن حتّى تحفظه كلّه، فأخذ ذلك منه بالقبول وأقبل على درس القرآن حتى حفظه.» قرأ عليه ابن خلدون كذلك مختصر المدوّنة وكتاب المالكية لكننا لا نعلم أيّها من عشرات الكتب التي كتبت في المالكية.

10. ابن عبد السلام الهواري : (ت : 750 هـ / 1349 م) أبو عبد الله محمد المنستيري التونسي، قاضي الجماعة وشيخ الفتيا، شَارِحُ مختصر ابن الحاجب الفرعي في الفقه، توفي بالطاعون سنة 749 . حضر مجالس السلطان أبي الحسن المريني عندما زحف على إفريقية وأثبت جدارته وكفاءته، إذ يشير المقّري في أزهار

ISSN: 2462-2508

الرياض إلى مناظرة دارت بمجلس السلطان المريني بتونس.

والعلماء في غير افريقيا:

2-علماء و فقهاء المغرب الأقصى:

لقد كانت الحملة التي قام بها أبو الحسن المريني على إفريقيّة سنة 748 هجري (1347 م) فرصة لابن خلدون كي يتعرّف على مجموعة كبيرة من أهل العلم المغاربة، استقدمهم السلطان معه « يلزمهم شهود مجلسه ويتجمّل بمكانهم فيه» (513/7) ويقال أن عددهم بلغ 400 من فقهاء وقضاة وأدباء وشعراء وغيرهم.

لقد تمكّن ابن خلدون من ملازمة بعضهم بتونس واللحاق بهم بفاس، فكان لهم عليه تأثير كبير ولا سيما الآبلي وأبو البركات البلفيقي والشريف الحَسني. فلهؤلاء الثلاثة من بين ثمانية عشر شيخا، أبدى ابن خلدون نحوهم تبجيلا كبيرا معترفا بعلمهم وكفاءاتهم ولما قدّموه له من علم ومعرفة ومنهج في التفكير.

لكنّنا سنضيف ثلاث شخصيّات أخرى كان لها أيضا أثر بالغ في تكوينه العلمي والمعرفي والسّلوكي، لم يذكرهم ابن خلدون كشيوخ له، لكن احتكاكه بهم ومباشرته لهم أدّت إلى التأثير عليه وهم : إبراهيم ابن زرزر اليهودي طبيب بلاط ابن الأحمر وفارس بن ميمون بن ودرار وزير أبي الحسن المريني وأخيرا صديقه ذو الوزارتين لسان الدين ابن الخطيب.

(1الآبلي : يكفي أن نورد هذه الصفات التي وصفها به ابن خلدون في كتابه ''لباب المحصّل في أصول الدّين'' كي نعلم مدى أهمّية هذا الشيخ في المسيرة العلميّة لتلميذه : « ... إلى أن طلع الآن شمس نور آفاقه، ومدّ على الخافقين رواقه، وهو سيّدنا ومولانا الإمام الكبير العالم العلاّمة فخر الدنيا والدين، حجة الإسلام والمسلمين، غيّاث النفوس، أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلي، رضي الله عن مقامه وأوزعني شكر إنعامه، شيخ الجلالة وإمامها، ومبدأ المعارف وختامها، ألقت العلوم زمامها بيده وملّكته ما ضاهى به كثيرا ممّن قبله وملّكته ما لا ينبغي لأحد من بعده، فهي جارية على وفق مراده، سائغة له حالتَيْ إصداره وإيراده. فاقتطفنا من يانع أزهاره واغترفنا من معين أنهاره، وأفاض علينا سيب علومه وحلاّنا بمنثور درّه ومنظومه« ...

لقد حافظ ابن خلدون على رأيه وموقفه من شيخه الآبلي، إذ نلاحظ نفس صفات التبجِلّة والوقار بالتعريف الذي كتبه في أواخر حياته، في حين أن اللباب قد كتبه بتونس وهو لم يتجاوز العقد الثاني من عمره. فيصفه بالتعريف قائلا : « ... شيخ أهل المغرب لعصره في العلوم العقلية، ومفيد جماعتهم ... » (386/7) ونظرا لأهمّية هذه الشخصيّة في حياة وتكوين ابن خلدون، رأيت من الضروري التعرّف على مدى تأثّره بشيخه مقارنة ببقيّة شيوخه.

ولد الآبلي بتلمسان سنة 681 هجري (1282 م) وتوفّي سنة 757 (1356م) بفاس، أندلسي الأصل من مدينة آبلة الواقعة بالشمال الغربي لمدريد، كان والده قائدا عسكريّا ضمن جيوش الدولة الزيانية في عهد يغمراسن بن زيّان الذي عدّد ابن خلدون خصاله مشيدا بفطنته السياسيّة وبحزمه في إدارة شؤون الدولة وبحكمته. كان جدّ الآبلي للأمّ الذي قاضيا اعتنى بحفيده في غياب والده الذي كان دائما ضمن تنقّلات الجيش، وهذه

ISSN: 2462-2508

الرعاية سمحت للآبلي بتفتّق إمكانياته الذاتيّة فنشأ ميّالا إلى « انتحال العلم عن الجنديّة التي كانت منتحل أبيه وعمّه.» (519/7) ورغم صغر سنّه فقد استطاع استقطاب أنظار وشغف طالبي العلم بمدينته واشتهر بتحكّمه في العلوم العقليّة والتعاليم، « فعكف الناس عليه في تعلُّمها» (519/7).

عاش الآبلي عدّة مآسي لحقت بتلمسان تتمثل أساسا في حملة يوسف بن يعقوب الناصر المريني (685-706 هـ / 1286-1290م) على هذه المدينة وحصاره لها بداية من شهر شعبان سنة 698 هـ (ماي1299م) ودام الحصار ثماني سنوات، فشاهد الآبلي عن قرب كل الأحداث إذ كان « في صباه قهرمان دارهم » (127/7) أي تُرجمان، من أمناء الملك وخاصّته والخازن والوكيل والحافظ لما تحت يديه والقائم بالأمور.

في بداية الحصار كان للآبلي سبعة عشر سنة شمسية وهي سن تخوّل له في تلك الفترة، القيام ببعض الشؤون الإداريّة، فحسب التفسير الذي يقدّمه ابن خلدون، يبدو أنَّ مهمة القهرمان قد تطوّرت وكانت أصلا لمنصب الحجابة. وبالتالي نستنتج أنَّ الدور الذي قام به الآبلي داخل الدولة الزيانية لا يقل أهمية عن دور الحاجب، لا سيما خلال فترة الحصار التي عاينها الآبلي وكان المصدر الرئيسي لابن خلدون في سرده لهذه الأحداث، انتهى الحصار بمقتل السلطان يوسف بن يعقوب وقد بلغ الآبلي 25 سنة، لكنه لم يقض كامل فترة الحصار داخل المدينة، إذ فضَّل تسوُّر أسوار تلمسان للّحاق بوالده الذي تم اعتقاله من قبل القوّات المرينية حسبما بلغه من أخبار.

لا يذكر لنا ابن خلدون تاريخ خروج شيخه من تلمسان إلى معسكر يوسف بن يعقوب المريني لكننا نستطيع استنتاج ذلك من خلال تتالي الأحداث. إذ يعلمنا صاحب العبر بأن الآبلي كان متواجدا للمرة الثانية بتلمسان اثر « مهلك يوسف بن يعقوب وخلاص أهل تلمسان من الحصار» (520/7) بعد غياب طال سبع سنوات قضاها الآبلي بالمشرق.

المبحث الثالث:

المطلب الأول: أثر الاضطربات والظروف السياسية في شخصية ابن خلدون

كان للظروف السياسية والاضطرابات التي عاصرها ابن خلدون أثر في شخصيته وفكرة وتجلى ذلك في آرائه وأهمها :

1-ضرورة وجود الدولة:، لمنع عدوان الناس ضد بعضهم بعض، والإنسان هو الكائن الوحيد بين الحيوانات الذي يعيش في ظل نظام سياسي، وأن وجدت حيوانات تعيش منقادة لكبير لها، كالنمل والنحل، فذلك مبني على الغريزة، وليس نظاماً مبنياً على العقل، ويذهب ابن خلدون إلى أن الدول كالأفراد لها أعمار تختلف طولاً وقصراً حسب الظروف المحيطة بالدولة، ولكن هذا العمر يستمر عادة ثلاثة أجيال والجيل يختلف طولاً وقصراً حسب متوسط عمر الإشخاص في الدولة [1]

2-قيام الدولة على الدين والشريعة: حيث ذهب إلى القول بأن الدين هو عامل من أهم عوامل استتباب

(1) سعفان حسين شحاته، أساطين الفكر السياسي والمدارس السياسية ، ص 190-191 .

ISSN: 2462-2508

الحكم، ولما كانت الغاية من السياسة هي تحقيق الخير الأقصى للإنسان في الدنيا والأخرة، فقد فرق ابن خلدون بين نوعين من الحكم السياسي، حكم يتجه إلى خير المحكومين في الدينا والأخرة، وهذه هي السياسة الشرعية التي تستند إلى الشريعة وهناك حكم يتجه إما إلى خير الرعية أو الحكام في هذه الدنيا وهذه هي سياسة عقلية دنيوية وهي تستمد من العقل بغير الاستعانة بالوحي الألهي وهو يسميها ملكية[1] . والسياسة الشرعية عند ابن خلدون، هي التي تستمد من الوحي الالهي ومن تشريع النبي ذلك لأن الحاكم هنا هو النبي أو خليفته وليست الغاية هنا هي خير الحكام ولا المحكومين في الدنيا فحسب، بل السعادة في الأخرة والحكم يتجه هنا إلى صلاح الدنيا والدين معاً، لذلك يعني أن ابن خلدون بتجريد صفات الخليفة وهو الحاكم الشرعي الذي يستند حكمة على الإجماع.

3- **ضرورة توفر شروط منصب الحاكم الشرعي :** وهي : (العلم، والعدالة، والكفاية، وسلامة الحواس والأعضاء، واختلف في شرط خامس وهو النسب القريشي)، اما اشتراط العلم فظاهر لأنه أما يكون منفذاً لأحكام الله تعالى اذا كان عالماً بها وما لم يعلمها لا يصح تقديمه لها واما العدالة، فلانه منصب ديني ينظر الى سائر المناصب التي هي شرط فيها، وآما الكفاية فهو أن يكون جريئاً في إقامة الحدود واقتحام الحروب بصيراً بها كفيلاً بحمل الناس عليها عارفاً بالعصبية، وأما سلامة الحواس والأعضاء من النقص والعطلة كالجنون والعمى والصم والخرس، اما اشتراط أن يكون الخليفة من قريش فقد كان ينطبق على العهود الملكية، حيث إن الكفاية والقدرة لم تكن تتوفر إلا لذوي العصبية القريشية [2].

4- **أهمية دراسة التاريخ الإنساني:** عندما كان يتجه الحديث عن الفلسفة السياسية عند ابن خلدون لم يكن يغفل عن الغاية التي فرضتها الشريعة، غير أنه لتحقيق هذه الغاية التي يسعى إليها السياسي يجب أن يتسلح الفيلسوف بمعرفة من نوع آخر تعينه على معرفة الظروف الواقعية التي يمكن على أساسها ان تحقق هذه الغاية لذلك فقد اتجه ابن خلدون لدراسة التأريخ، الذي اعتبره انه ليس مجرد سرد لحياة الملوك وانسابهم وانما كان يجد فيه بحثاً في المجتمع وفي الحضارة وفي العلل المؤثرة على الظواهر الاجتماعية والأحداث التاريخية، وقد أبرز لأول مرة أهمية العوامل الاقتصادية في التطور التأريخي والاجتماعي الأمر الذي أضفى على دراسة للتاريخ قيمة علمية مجددة [3] .

5- **طبيعة الاجتماع البشري:** : يرى ابن خلدون أن الاجتماع ضروري من أجل القوت، وأكفاء الحاجة، ولأن العدوان طبيعي في الحيوان – ولكل حيوان عضو يدافع به عن نفسه ولكن الإنسان ليس له سوى الفكر واليد – والفرد الانساني عاجز وحده عن مقاومة الحيوان وهو محتاج للتغلب عليه بالتعاون مع أبناء جنسه، ولكن هذا الاجتماع لو حصل للبشر وتم العمران فلا بد من وازع يدفع بعضهم عن بعض لما في طباع الإنسان الحيوانية من ميل للعدوان والظلم، وليس السلاح بكاف لدفع العدوان عنهم لأنه موجود عند الجميع، لذلك فلا

(1) مطر، أميرة حلمي، في فلسفة السياسة، مصدر سابق، ص72-73

(2) مطر، اميرة حلمي، في فلسفة السياسة، ص 73- 74 .

(3) مطر، اميرة حلمي في فسلفة السياسة،، ص 75 .

ISSN: 2462-2508

بد من وجود واحداً منهم يكون له الغلبة والسلطان واليد القاهرة وهو (الملك) [1] . وقد تطورت المجتمعات الإنسانية من مرحلة الرعي ومن الحياة البدوية الى الحياة المدنية، بعد أن عرفت الفنون والصناعات التي وفرت للإنسان غذاء أفضل ومسكناً أحسن، وتتطلب الحياة الاجتماعية نظاماً سياسياً فتنشأ الدولة وهي أهم المؤسسات الاجتماعية حين تتغلب جماعة من البدو ذات عصبة فتأسس الدولة او الملك [2] . فالملك أو الدولة تنشأ كما يرى ابن خلدون بالتغلب والتغلب إنما يكون بالعصبية، وجمع القلوب وتأليفها إنما يكون بمعرفة من الله في أقامة دينه، فالحكم السياسي ضروري للإنسان ضرورة الاجتماع له، يقول ابن خلدون : " أن الغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك فالآدميون بطبيعة الإنسان يحتاجون في كل اجتماع إلى وازع يزيح بعضهم عن بعض، فلا بد من أن يكون متغلباً عليهم بتلك العصبة، وإلا لم تتم قدرته على ذلك وهذا التغلب هو المُلك، والملك عنده هو التغلب والحكم بالقهر " فالغاية التي تجري إليها العصبية هي الملك [3].

ثانيا: مصنفاته العلمية

توصّل ابن خلدون إلى نظريات فاصلة في علم الاجتماع حول قوانين العمران، ونظرية العصبية، وبناء الدولة وسقوطها وغيرها[4]، وألّف العديد من المصنّفات في كلّ من التاريخ، والحساب، والمنطق، وهي:

1- كتاب (العبر وديوان المبتدأ والخبر في أيام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر)، وهو أحد أشهر كتبه، ويتضمّن هذا الكتاب سبعة مجلدات، وتقع المقدّمة المعروفة بمقدّمة ابن خلدون في المجلّد الأول منه، وتشكّل ما نسبته ثلث الكتاب، وتتضمّن آراء ابن خلدون في الجغرافيا، والعمران، والفلك، وأحوال النّاس وطبائعهم. [5]

2- كتاب بغية الرواد في ذكر الملوك من بني الواد. [6]

3- كتاب الخبر عن دولة التتر (تاريخ المغول من كتاب العبر)، والذي نشرته دار الفارابي ببيروت.

4- كتاب ابن خلدون ورسالته للقضاة: مزيل الملام عن حكام الأنام، والذي نشرته دار الوطن في الرياض. [7]

كتاب رحلة ابن خلدون، والذي نشرته دار الكتب العلمية ببيروت. [8] كما توجد مؤلفات أخرى ذكرها حاجي خليفة في كتابه كشف الظنون 5/529، وهي:

تلخيص المحصل لفخر الدين الرازي،

وشرح الرجز لابن الخطيب في الأصول،

وشرح قصيدة ابن عبدون،

وشرح قصيدة البردى، وطبيعة العمران.

المطلب الثاني: وفاته

(1) مطر، اميرة حلمي، في فلسفة السياسة،، ص 79 .

(2 مطر، اميرة حلمي، في فلسفة السياسة، ص 79- 80.

(3) مطر، اميرة حلمي، في فلسفة السياسة، ص80 .

(4) اسهامات ابن خلدون في بناء نظرية اجتماعية عربية، جامعة الوادي، اطلع عليه بتاريخ 8-8-2021.

(5) كتاب العبر وديوان المبتدأ والخبر في ايام العرب والعجم والبربر ومن عاصرهم من ذوي السلطان الأكبر – تاريخ ابن خلدون، ط بيت الأفكار، مكتبة نور، اطلع عليه 8-8-2021.

(6) بغية الرواد في ذكر الملوك من بني الواد، مكتبة نور اطلع عليه بتاريخ 14-7-2021.

(7) ابن خلدون ورسالته للقضاة مزيل الملام عن حكام الأنام، مكتبة نور تاريخ الإطلاع 14-7-2021

(8) رحلة ابن خلدون، مكتبة نور، تاريخ الإطلاع 14-7-2021.

ISSN: 2462-2508

وتوفي ابن خلدون بعد قرابة ربع قرنٍ من مكوثه بالقاهرة عن عمرٍ يُناهزُ ستةً وسبعين عاماً في 26 رمضان 808هـ1406 م، أمّا مثواه الأخير فيقول السخاوي إنّه دُفن بمقابر الصوفية خارج باب النصر، ويقول المقريزي إن هذه القبور كانت تقع بين طائفةٍ من الترب والمدافن، وقد شيدها الأمراء في القرن الثامن للهجرة خارج باب النصر باتجاه الريدانية (العباسية)، وهي مقبرة شيدها متصوفة الخانقاهات ودُفن بها ابن خلدون لكونه شيخاً لخانقاه بيبرس[1]

الفصل الثاني: دور ابن خدون في استقرارا القضاء في عصره

المبحث : الاهتمام بالاستقرار السياسي والقانون

المطلب الأول: أهمية الاستقرار السياسي والقانوني:

الاستقرار السياسي والقانوني يعدّ من أهم الأسس التي تقوم عليها الدول الناجحة والمجتمعات المستقرة، حيث يؤثر بشكل مباشر على كل جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية. يمكن تلخيص أهمية هذا الاستقرار بالنقاط التالية:

أ. تحقيق التنمية الاقتصادية: الاستقرار السياسي والقانوني يوفر بيئة ملائمة للاستثمار والنمو الاقتصادي، فعندما يشعر المستثمرون بالأمان من التغيرات المفاجئة أو الفساد، تزدهر الأعمال، ويزداد الإنتاج والتوظيف، مما يرفع من مستويات المعيشة ويقلل من معدلات البطالة والفقر.

ب. ضمان الأمن والسلم الاجتماعي: الاستقرار القانوني والسياسي يضمن تطبيق القانون بشكل عادل على جميع الأفراد، مما يقلل من الظلم والانتهاكات ويعزز الثقة بين أفراد المجتمع، فعندما يلتزم الأفراد بالقوانين ويتمتعون بحقوقهم، يشعرون بالأمان الاجتماعي، وهذا يمنع نشوب الفتن ويقلل من الجرائم والنزاعات.

ج. تعزيز الثقة في الحكومة والمؤسسات: الاستقرار السياسي والقانوني يقوي علاقة الثقة بين المواطنين ومؤسسات الدولة، فعندما تكون القوانين ثابتة ويتم تطبيقها بعدالة، يدرك المواطنون أن مصالحهم وحقوقهم محفوظة. هذه الثقة تشجعهم على المشاركة في الحياة العامة، مثل الانتخابات والأعمال التطوعية.

د. جذب الاستثمارات الأجنبية: المستثمرون الأجانب يبحثون دائماً عن بيئات مستقرة سياسياً وقانونياً لتأمين استثماراتهم، فعندما تكون الدولة مستقرة سياسياً وتملك نظاماً قانونياً يضمن حقوق الملكية ويحارب الفساد، تكون وجهة جاذبة للاستثمارات الأجنبية، ما يسهم في تحسين الاقتصاد المحلي.

هـ. تعزيز الابتكار والتطور العلمي والثقافي: في بيئة مستقرة، يمكن للعلماء والمفكرين والطلاب العمل دون قلق بشأن الاضطرابات السياسية أو عدم الاستقرار القانوني. هذا المناخ المستقر يشجع على الابتكار والإبداع، مما يسهم في تقدم العلم والثقافة ويزيد من رفاهية المجتمع.

فالاستقرار السياسي والقانوني يعدّ من أهم الأسس التي تقوم عليها الدول الناجحة والمجتمعات المستقرة، حيث

(1) ابن الخطيب، الإحاطة في اخبار غرناطة الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية بيروت، 1424هـ.

ISSN: 2462-2508

يؤثر بشكل مباشر على كل جوانب الحياة الاقتصادية والاجتماعية والثقافية[1].

المطلب الثاني: نشأته وحياته

يقول لنا ابن خلدون عن أبيه «نزع عن طريقة السيف والخدمة إلى طريقة العلم والرباط. فقرأ وتفقه، وكان مقدماً في صناعة العربية وله بصر بالشعر وفنونه".

• وكان ذلك الأب هو المعلم الأول في حياة ابن خلدون فأحفظه القرآن وفقهه في القراءات السبع وأسهم معه علماء الأندلس الذين نزلوا بتونس بعد انهيار الأندلس في القرن السابع الهجري في تعليم ابن خلدون شيئاً من التفسير والحديث والفقه المالكي الذي هو المذهب السائد في المغرب العربي. ويذكر لنا ابن خلدون أسماء معلميه في كل علم وفن، ويعني عناية خاصة بترجمتهم ووصف مناقبهم ولكن تلحظ أن اثنين من أساتذته كان لهما أكبر الأثر في ثقافته الشرعية واللغوية والحكمية: أحدهما، محمد بن عبد المهيمن الحضرمي إمام المحدثين والنحاة بالمغرب وقد أخذ عنه الحديث ومصطلح الحديث والسيرة وعلوم اللغة، والثاني: أبو عبد الله محمد بن إبراهيم الآبلى شيخ العلوم العقلية التي تشمل المنطق وما وراء الطبيعة والعلوم الرياضية والطبيعية والفلكية والموسيقى.

وقد عكف ابن خلدون على الدرس والتحصيل وشهد له أساتذته بالنبوغ والتفوق والإجازة فيما اطلع عليه ودرسه حتى بلغ الثامنة عشرة من عمره، وفيها طوى بساط الموت والديه في الفناء الكبير (الطاعون الجارف) بالنكبة التي حلت بالشرق والمغرب معاًعالم (749هـ – 1349م) ويشير إليها ابن خلدون بقوله (فيها ذهب الأعيان والصدور وجميع المشيخة وهلك أبواي رحمهما الله) وهاجر معظم العلماء والأدباء الذين أفلتوا من هذا الوباء الجارف من تونس إلى المغرب الأقصى سنة 750هـ فولى ابن خلدون وجهه شطر الوظائف العامة والسير في الطريق الذي سار فيه جداه الأول والثاني وكثير من قدامى أسرته فقضى ستة أعوام موظفاً بفاس فعمل مع السلطان أبو عنان.

وكان ابن خلدون عضواً في مجلسه العلمي وأحد كتابه وموقعيه وذلك في الفترة من 755هـ إلى 758هـ. وقد قضى بعد ذلك سنتين في سجن فاس (758-760هـ) لصلته بالأمير محمد صاحب بجاية المخلوع والذي كان أسيراً في فاس – وفي سنة 760 هـ أفرج عن ابن خلدون الوزير الحسن بن عمر وولاه وظائفه السابقة، كما ولاه السلطان منصور بن سليمان في نفس السنة وظيفة الكتابة وولاه السلطان أبو سالم في شئون كتابة السر والإنشاء والمراسيم ثم تولى خطة المعالم (760 هـ إلى آخر 762هـ).

ثم رحل ابن خلدون إلى بجاية عن طريق البحر في منتصف عام 766هـ (1364م) فاستقبله أميرها وأهلها استقبالاً عظيماً، وولاه أمير بجاية منصب الحجابة وهو أعلى منصب في الدولة ويعادل منصب رئيس الوزراء في عصرنا وقد وصف ابن خلدون سلطات المنصب فقال:«الاستقلال في الدولة والوساطة بين السلطان وأهل دولته، لا يشاركه في ذلك أحد». كما أن السلطان صرح له واختصه بالخطابة والتدريس في

(1) قضاة الإسلام ابن خلدون، موقع الدكتور موقع الأستاذ الدكتور فؤاد عبدالمنعم أحمد

ISSN: 2462-2508

أكبر مساجد ولاية بجاية (جامع القصبة) فجمع ابن خلدون بين يديه أكبر مناصب السياسة وأرفع مناصب العلم، وتمكن من تدبير الأمور بحزم وعزم فعالج الفتن القائمة، وتجول بين القبائل البدوية ونجح في تحصيل الضرائب منها بصرامته ودهائه. وفي سنة 767هـ تمكن السلطان أبي العباس أحمد صاحب قسطنطينية من قتل ابن عمه أبا عبد الله ودخل بجاية ظافراً يحدثنا ابن خلدون عن أثر ذلك فيقول:

(لبعض الصبيان من أبناء السلطان، فتفاديت من ذلك، وخرجت إلى السلطان أبي العباس، فأكرمني وحياني، وأمكنته من بلده)، فأكرمه أبو العباس، وأقره على منصب الحجابة حيناً، ثم ما لبث أن شك فيه، فتنكر له ورغب عن خدمته، فتوجس ابن خلدون خفية منه، واستأذنه في الانصراف إلى أحد الأحياء القريبة فأذن له، ولكن عن له بعد ذلك أن يقبض عليه، ففر ابن خلدون إلى بسكرة لصداقة بينه وبين أميرها حيث قضى سبع سنين (من منتصف 767هـ إلى منتصف 774هـ) في الدسائس والمغامرات لحساب أبي حمو سلطان تلمسان ضد أبي العباس سلطان بجاية أولاً، ثم لحساب أبي فارس عبد العزيز سلطان فاس ضد أبي حمو ثانياً، منها نحو سنتين (774ه -776هـ) قضاها في فاس بعيداً عن وظائف الدولة في كنف الوزير ابن غازي، ما عدا بضعة أشهر في آخرهما قضاهما في عهد السلطان أبي العباس أحمد.

• وفي ربيع سنة 776 هـ رحل ابن خلدون رحلته الثانية إلى الأندلس تاركاً أسرته بفأس، وكان موضع ريبة من أمراء المغرب جميعاً لدسائسه، فما كاد يترل ضيافة سلطان الأندلس ابن الأحمر حتى كانت ملاحقة أمراء المغرب له وخاصة بلاد فارس وطلبوا من ابن الأحمر تسليم ابن خلدون فأبى، فطلبوا إليه أن يقصيه من أرضه إلى المغرب فأجابهم لمطلبهم

ثم انتقل ابن حلدون إلى مصر يقول ابن تغرى بردى في ترجمته لابن خلدون:«واستوطن القاهرة وتصدر للإقراء بالجامع الأزهر مدة،واشتغل وأفاد». ويقول السخاوي:«وتلقاه أهلها أي أهل مصر- وأكرموه وأكثروا ملازمته والتردد عليه، بل تصدر للإقراء بالجامع الأزهر مدة». وجلس ابن خلدون للتدريس بالأزهر، ويبدو أنه كان يدرس الحديث والفقه المالكي، ويشرح نظرياته في العمران والعصبية وأسس الملك ونشأة الدول وغيرها مما عرض إليه في مقدمته. وكانت هذه الدروس خير إعلان عن غزير علمه، وشائق بحثه، وساجر بيانه، وكان ابن خلدون محدثاً بارعاً رائع المحاضرة، يخلب ألباب سامعيه بمنطقه وذلاقته، وهذا ما يحدثنا به معاصروه من أعلام الفكر والأدب المصريين يقول ابن حجر العسقلاني، وقد درس عليه وانتفع بعلمه ووصفه :«وكان لسنا، فصيحاً، حسن الترسل وسط النظم مع معرفة تامة بالأمور خصوصاً متعلقات المملكة». وذكر الركراكي كما نقله عنه السخاوي» إن محاضرته إليها المنتهى" . [1]

ثم خلا منصب التدريس بالمدرسة القمحية، بجوار جامع عمرو، وهي من مدارس المالكية فعينه السلطان فيه، وشهد المجلس الأول لابن خلدون في هذه المدرسة جمهرة من الأكابر والعلماء أرسلهم السلطان لشهوده

(1) ابن حجر العسقلانين رفع الإصر عن قضاة مصر، ص33.

ISSN: 2462-2508

يقول ابن خلدون عن أثر هذا المجلس: «انفض هذا المجلس وقد شيعتني العيون بالتجلة والوقار".

• وفي أواخر جمادى الآخرة سنة 786هـ عين السلطان الظاهر برقوق ابن خلدون في وظيفة قاضي قضاة المالكية بدلاً من القاضي المعزول جمال الدين بن خير الإسكندري. ويصف ذلك ابن خلدون في سخرية «وأقمت على الاشتغال بالعلم وتدريسه إلى أن سخط السلطان على قاضي المالكية يومئذ في نزعة من النزعات الملوكية، فعزله واستدعاني للولاية في مجلسه وبين أمرائه، فتفاديت من ذلك، وأبى إلا إمضاءه»[1]. ولقد كانت مناصب التدريس والقضاء دائماً مطمع جمهرة الفقهاء والعلماء المحليين، ولم يكن مما يحسن وقعه لديهم أن يفوز بها ابن خلدون المغربي الوافد دونهم. فإذا حمل الأمانة وأدى الرسالة وأصلح أحوال القضاء مما يسوده حينئذ من فساد واضطراب وكثرت السعاية في حقه والإغراء به حتى «أظلم الجو بينه وبين أهل الدولة على حد تعبيره ووافق ذلك مصابه بالأهل والولد، وقد تشفع في إحضارهم له – وقد حجزهم سلطان تونس ليجبر ابن خلدون على العودة إلى تونس– سلطان مصر، ولكن السفينة التي كانت تحملهم أصابها قاصف من الريح فغرقت، يقول لنا ابن خلدون:«وذهب الموجود والسكن والمولود، فعظم المصاب والجزع، ورجح الزهد، واعتزمت على الخروج من المنصب فلم يوافقني عليه النصيح ممن استشرته خشية من نكير السلطان وسخطه »، ولم يمض وقت قليل حتى عزل من منصبه لأول مرة في السابع من جمادى الأولى 787هـ، أي أنه لبث في المنصب نحو عام من ولايته، فانقطع ابن خلدون إلى الدرس والتأليف مع شغف النفس بالعودة إلى المنصب.

ثم عينه السلطان أستاذاً للفقه المالكي في المدرسة «الظاهرية البرقوقية» في سنة افتتاحها عام 788هـ، وفي سنة 789هـ مضى لأداء فريضة الحج، وبعد عودته وفي المحرم 791هـ ولاه السلطان منصب كرسي الحديث بمدرسة "عمر غتمش"، وفي ربيع الآخر من سنة 791 هـ عينه السلطان شيخا لخانقاة بيبرس وهي تكية للصوفية، وكان يشترط في شيخها أن يكون عضواً في هيئة المتصوفين فنزل ابن خلدون يوماً واحداً بها، وقيد من أعضائها قبل تعيينه شيخاً لها حتى يتوافر فيه هذا الشرط بيد أنه لم يعرف في تاريخه – أنه زاول التصوف العملي أو ركن إلى الزهد والاعتكاف كما يفعل المتصوفون في عصره– وكان أثر هذه المشيخة أن زاد رزق ابن خلدون واتسعت موارده، ثم عين في منصب القضاء للمرة الثانية في النصف الثاني من سنة 801هـ وزار بيت المقدس في رمضان 802هـ وعزل في منتصف المحرم 803هـ ويعين نائبه نور الدين ابن الخلال الذي بذل ما تيسر من المال لبطانة السلطان للحصول على المنصب وفي نفس السنة خرج ابن خلدون مع الناصر فرج سلطان مصر لصد الغزو المغولي عن دمشق التي كانت تابعة لسلطان مماليك مصر وأثناء المعركة علم السلطان أن مؤامرة تدبر في مصر لخلعه وتولية آخر فارتد مسرعاً إلى القاهرة. ويصف ابن خلدون ما حدث في المعسكر بعد ذلك فيقول:«وجاءني القضاة والفقهاء واجتمعت بمدرسة العادلية واتفق رأيهم

(1) د. نعمات أحمد فؤاد، القاهرة في حياتي، القاهرة: الهيئة المصرية العامة للكتاب، 1986، ص 147– 148.

ISSN: 2462-2508

على طلب الأمان من الأمير (تيمور لنك) على بيوتهم وحرمهم، وشاوروا في ذلك نائب القلعة، فأبى عليهم ذلك وأنكره، فلم يوافقوه وخرج القاضي برهان الدين بن مفلح الحنبكي ومعه شيخ القراء.. فأجابهم إلى التأمين.

وردهم باستدعاء الوجوه والقضاة، فخرجوا إليه متدلين من السور بما صحبهم من التقدمة، فأحسن لقاءهم، وكتب لهم الرقاع بالأمان، وردهم على أحسن الآمال. واتفقوا على فتح المدينة من الغد... وأخبرني القاضي برهان الدين أنه سأل عني، وهل سافرت مع عساكر مصر أم أقمت بالمدينة فأخبره بمقامي بالمدرسة حيث كنت، وبتنا تلك الليلة على أهبة الخروج إليه، فحدث بين بعض الناس تشاجر في المسجد الجامع، وأنكر البعض ما وقع من الاستنامة من القول) أي الاطمئنان إلى ما وعد به تيمور لنك وما أخذه على نفسه من الأمان .(وبلغني الخبر في جوف الليل، فخشيت البادرة على نفسي، وبكرت سحراً إلى جماعة القضاة عند الباب، وطلبت الخروج أو التدلي من السور لما حدث عندي من توهمات ذلك الخبر، فأبوا علي ذلك أولاً، ثم أضحوا لي ودلوني من السور، فوجدت بطانته (تيمور لنك)عند الباب ونائبه الذي عينه للولاية على دمشق، وقد التقى ابن خلدون بتيمور لنك وقدم إليه هدية وأحسن الأخير استقباله واستضافه وكلفه بأن يكتب عن بلاد المغرب حتى كأنه يراها ونفذ له أمره، وأن أخبر ابن خلدون سلطان المغرب بعد ذلك بوصف لتيمور لنك فقال:«وهذا الملك زعماء الملوك وفراعنتهم، والناس منسوبة إلى العلم وآخرون إلى اعتقاد الرفض، لما يرون من تفضيله لأهل البيت وآخرون إلى انتحال السحر. وليس من ذلك كله في شيء، إنما هو شديد الفطنة والذكاء، كثير البحث واللجاج، بما يعلم وبما لا يعلم. عمره بين الستين والسبعين، وركبته اليمنى عاطلة من سهم أصابه في الغارة أيام صباه، على ما أخبرني، فيجرها في قريب المشي، ويتناوله الرجال على الأيدي عند طول المسافة.». فإن كانت الأثرة هي التي دفعته إلى لقاء تيمور لنك فإنه قد استطاع أن يكون عيناً لوطنه فقدم ثمرة اللقاء الشخصي والعلامة التي تؤدى القضاء على تيمور لنك عند اللقاء به[1]

المطلب الثالث: دور القاضي ابن خلدون في الإصلاح القضائي

تولى ابن خلدون منصب قاضي قضاة المالكية خمس مرات في الفترة ما بين 786هـ و808هـ تاريخ وفاته على نحو ما أشرنا، ولقد أعطى المنصب حقه من الأمانة والرعاية فأظهر له حزماً وعزماً ومجابهة لكل ذي جاه في وسط اجتماعي ألف غير ذلك وقد ساهم ابن خلدون في إصلاح القضاء من خلال أربعة محاور هي:

1- تطبيق مبدأ المساواة بين الخصوم، فسوى بين الصغير والكبير، والأمير والسوقة، وقد وصف حاله فقال:«وقمت بما رفع إليّ من ذلك المقام المحمود، ووفيت جهدي بما آمنني عليه من أحكام الله تعالى: لا تأخذني في الحق لائمة، ولا يزغني عنه جاه ولا سطوة، قويا- في ذلك بين الخصمين، آخذاً بحق الضعيف من

(1) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، رحلة ابن خلدون، الطبعة الأولى، دار الكتب العلمية، بيروت، 1425هـ.

ISSN: 2462-2508

الحكمين، معرضاً عن الشفاعات والوسائل من الجانبين «وتبدو قيمة ذلك أن عصر ابن خلدون لم يكن عصر المساواة المطلقة في الخصومة في مجلس القضاء، وقد يؤخذ قول ابن خلدون بعين الشك ولكن إذا وضع في مقابلة أقوال العلماء المعاصرين له يتبين لنا أن قولته عين الحق، فيقول ابن حجر العسقلاني عن ابن خلدون القاضي:« لم يشتهر عنه في منصبه إلا بالصيانة له» ويقول ابن تغرى بردى في المنهل الصافي:«باشر القضاء بحرمة وافرة وعظمة زائدة وحمدت سيرته، ودفع رسائل أكابر الدولة وشفاعات الأعيان فأخذوا في التكلم في أمره ولا زالوا بالسلطان حتى عزله.«

2- عمد ابن خلدون لضبط وسائل الاثبات أن ابن خلدون التجأ إلى وسائل الإثبات فأنارها بما يحيطها من الشبهات والظلمات وأبعد عنها الذين يفسدون الأحكام ممن اتخذوا الإثبات سبيلاً للعيش، وتزكية الشهود طريقاً، وكانت الشهادة أي البينة هي وسيلة الإثبات الأولى لذلك ففسادها مؤدي حتماً إلى فساد القضاء فطهرها من التزوير والكذب يقول ابن خلدون مبيناً جهده: «جانحاً إلى التثبيت في سماع البيانات، والنظر في عدالة المنتصبين لتحمل الشهادات، فقد كان البر منهم مختلطاً بالفاجر، والطيب متلبساً بالخبيث، والحكام ممسكون عن انتقادهم متجاوزون مما يظهرون عليه من هيئاتهم، لما ينوهون من الاعتصام بأهل الشوكة، فإن غالبهم مختلطون بالأمراء معلمون للقرآن، وأئمة في الصلاة، يلبسون عليهم بالعدالة فيظنون لهم الخير، ويقسمون لهم الحظ من الحياة في تزكيتهم عند القضاة، والتوسل لهم فأعضل داؤهم، وفشلت المفاسد بالتزوير والتدليس بين الناس منهم، ووقفت على بعضها فعاقبت بموجب العقاب ومؤلم النكال، وتأدى إلى العلم بالجرح في طائفة منهم، فمنعتهم من تحمل الشهادة، وكان منهم كتاب لدواوين القضاة، والتوقيع في مجالسهم، وقد دربوا على إملاء الدعاوي وتسجيل الحكومات، واستخدموا للأمراء فيما يعرض لهم من العقود بأحكام كتابتها، وتوثيق شروطها فصار لهم بذلك شفوف (فضل) على أهل طبقتهم، وتمويه على القضاة بجاههم، يدعون به مما يتوقعونه من عتبهم، لتعرضهم لذلك بفعلاتهم وقد يسلط بعض منهم كلمة على العقود المحكمة، فيوجد السبيل إلى حلها بوجه فقهي أو كتابي، ويبادرون إلى ذلك متى دعا إليه داعي جاه أو منحة، وخصوصاً في الأوقاف التي جاوزت حدود النهاية في هذا العصر، وبكثرة عوالمه، فأصبحت خافية الشهرة، مجهولة الأعيان، عرضة للبطلان باختلاف المذاهب المنصوبة للحكام بالبلد، فمن اختار فيها بيعاً أو تمليكاً شارطوه وأجابوه، مفتاتين فيه على الحكام الذين ضربوا دونه سدا للخطر والمنع حساية من التلاعب»[1] أوردنا هذا الكلام مع طوله لأنه يصور لنا تلك العزمة التي اعتزمها ذلك القاضي العظيم، وتصور لنا العقبات التي تقف في سبيله وتصور حال العصر، وتحكم المتصلين بالحكام في مصاير الأحكام.

3- إعمال وتنفيذ الأحكام، فقد كان من بين المفتين من يضعفون شأن الأحكام وكان اضطراب الأمر بين قضاة أربعة هم المالكي والشافعي والحنفي والحنبلي، بفتح ثغرة لإضعاف قوة الأحكام، فجاء ابن خلدون إلى المفتين وكبح جماح الذين يعثون بالأحكام منهم، يقول ابن

(1) عبد الرحمن بن محمد بن محمد، رحلة ابن خلدون، ص 206

ISSN: 2462-2508

خلدون:«ثم التفت إلى الفتيا بالمذهب، وكان الحكام منهم على جانب من الخبرة لكثرة معارضتهم وتلقينهم الخصوم، وفتياهم بعد نفوذ الحكم، وإذا فيهم أصاغر، يتشبثون بأذيال الطلب والعدالة لا يكادون إذا بهم طفروا إلى مراتب الفتيا والتدريس، فاقتعروها، وتناولوها بالجزاف، فاحتازوها من غير مثرب، ولا منتقد للأهلية.. وقلم الفتيا في ذلك العصر طلق، وعنانها مرسل يتجاذب كل الخصوم منه رسنا.. فيعطيه المفتى من ذلك ملء رضاه.. متتبعاً إياه في شعاب الخلاف، فتتعارض الفتاوى وتتناقض ويعظم الشغب إن وقعت بعد نفوذ الأحكام، والخلاف في المذاهب كثير والإنصاف متعذر وأهلية المفتي، أو شهرة الفتيا ليس تمييزها للحامي، فلا يكاد هذا المدد ينحصر ولا الشغب ينقطع[1] هكذا، قد طهر ابن خلدون الإفتاء من هذا الصنف من المفتين، وبذلك ضمن للحكم العادل طريقه إلى النفاذ من غير تشغيب عليه .

4- سن التعزير للمتنفذين:

سن ابن خلدون من أبواب التعزير باباً سلكه لم يكن بيد الجلاد، وهو إشارة السخرية على مرتكب الذنب إذا كان من ذوي السلطان، فكان يعزر بالصفع على القفا إذا كان المتهم من ذوي الجاه أو المتصلين بذوي الجاه، فكان يديم الصفع حتى يدمى القفا من كثرة ما ناله من مس عنيف.

: الشبهات التي أحاطت بوسائل الإثبات في التقاضي في ذلك العصر

اهتمام القاضي ابن خلدون بوسائل الإثبات وما يحيطها من شبهات

التزاهة والاستقلالية في القضاء

ابن خلدون أكد على ضرورة أن يكون القاضي شخصًا عادلًا ومخلصًا، بحيث لا يتأثر بالمصالح الشخصية أو الضغوط الخارجية.

نزاهة القاضي ترتبط مباشرة بقدرته على تحقيق العدل؛ لأن الظلم يُعتبر من أكبر الأسباب التي تؤدي إلى خراب الدول وسقوط الحضارات.

حذر ابن خلدون من تأثير الطمع والرشوة على القاضي؛ لأنهما يؤديان إلى فساد القضاء وانتشار الظلم.

استقلال القضاء

ابن خلدون أشار إلى أن استقلال القضاء عن السلطان أو السلطة السياسية ضروري لضمان حياديته.

يرى أن تدخل الحكام في شؤون القضاء يُضعف ثقة الناس في العدالة، مما يؤدي إلى انهيار القيم الاجتماعية.

استقلال القضاء يُعتبر وسيلة لحماية المجتمع من الاستبداد، حيث يضمن أن تكون القرارات القضائية مستندة إلى القوانين والشريعة، وليس إلى أهواء الحاكم.

مراعاة العدل في الأحكام:

العدل في الأحكام ليس مجرد قيمة أخلاقية، بل هو ضرورة لبقاء المجتمعات وازدهارها، فالحاكم والقاضي العادلين هما الضمانة لاستمرار الحضارة واستقرار الدول.

تطبيق الشريعة الإسلامية يُعدّ محورًا أساسيًا في الفكر الإسلامي لتحقيق العدل، وضمان الاستقرار، وتنظيم حياة الأفراد والمجتمع؛ الشريعة ليست مجرد قوانين، بل هي منهج شامل يستند إلى القيم الدينية والأخلاقية لتحقيق التوازن بين الحقوق والواجبات. وفيما يلي أبرز الجوانب التي توضح أهمية تطبيق الشريعة:

(1) عبد الرحمن بن خلدون، تاريخ ابن خلدون، ص206

ISSN: 2462-2508

1. تحقيق العدل:

الشريعة الإسلامية قائمة على تحقيق العدل بين الناس، بغض النظر عن الجنس أو العرق أو المكانة الاجتماعية.

تضمن المساواة أمام القانون، فلا يُميز أحد على حساب آخر.

تحارب الظلم بجميع أشكاله، سواء كان في المعاملات، أو القضاء، أو العلاقات الاجتماعية.

. ضمان الاستقرار الاجتماعي:

تطبيق الشريعة ينظم حياة الأفراد والجماعات بما يحقق الأمن والاستقرار.

القوانين المستمدة من الشريعة تُحدّد حقوق الأفراد وواجباتهم، مما يحد من النزاعات والاضطرابات.

إقامة الحدود والعقوبات الشرعية تهدف إلى ردع الجرائم وحماية المجتمع.

3. تنظيم شؤون الحياة:

الشريعة تشمل جميع نواحي الحياة:

المعاملات المالية: تحرم الربا والغش، وتعزز العدالة الاقتصادية.

العلاقات الاجتماعية: تحدد حقوق الأسرة وتضع أسسًا قوية لبنائها.

القضاء: تعتمد على أحكام عادلة تستند إلى أدلة وشهود.

4. حفظ الضروريات الخمس:

وفقًا للشريعة، هناك خمسة مقاصد أساسية يجب الحفاظ عليها:

1. الدين: حماية العقيدة وممارسة الشعائر بحرية.
2. النفس: حماية الأرواح من أي تعدٍ أو ظلم.
3. العقل: تشجيع العلم، وتحريم كل ما يضر به، كالمسكرات.
4. المال: ضمان الحقوق المالية، ومنع السرقة والغش.
5. النسل: حماية الأنساب من الفساد وتنظيم الزواج.

5. تعزيز القيم الأخلاقية:

الشريعة تُرسخ القيم مثل الأمانة، الصدق، الرحمة، والتعاون.

تربي الأفراد على الالتزام بالأخلاق الفاضلة في جميع أعمالهم.

تسعى لتزكية النفس، وإقامة مجتمع متماسك ومتسامح.

6. تحقيق رضا الله:

تطبيق الشريعة واجب ديني يُقرب الإنسان من الله.

يُعبر عن التزام المسلمين بمنهج حياتهم، ويحقق التوازن بين الدنيا والآخرة.

الامتثال لأوامر الله في التشريعات يُعدّ تعبيرًا عن الإيمان والطاعة.

7. بناء أمة قوية ومستقرة:

الشريعة تدعو إلى الوحدة والتعاون بين المسلمين، مما يقوي الأمة.

تؤسس لنظام حكم رشيد قائم على العدل والشورى.

تسهم في ازدهار المجتمع من خلال تحقيق الأمن والرخاء.

إصلاح القضاء من خلال ضبط اختياره.

وضع معايير دقيقة للتعيين:

وضع شروط واضحة ومحددة تتعلق بالكفاءة والنزاهة والخبرة.

ISSN: 2462-2508

تشكيل لجان متخصصة لاختيار القضاة بناءً على معايير موضوعية.

2. التدريب المستمر:

تقديم دورات تدريبية وتطويرية للقضاة لتحسين أدائهم وصقل مهاراتهم.

التأكد من مواكبتهم للتطورات القانونية والمجتمعية.

3. التدقيق في السيرة الذاتية:

لتحقق من سجل القاضي السابق للتأكد من نزاهته واستقامته.

ضمان أن يكون بعيداً عن الشبهات الأخلاقية أو المهنية.

4. اختبارات نفسية وأخلاقية:

إجراء تقييمات نفسية وأخلاقية لتحديد قدرة المرشحين على تحمل الضغوط واتخاذ قرارات عادلة.

5. تعزيز مبدأ الشفافية:

اختيار القضاة من خلال إجراءات شفافة تضمن العدالة والمساواة في التعيين.

إشراك هيئات قضائية مستقلة في عملية الاختيار.

أثر ضبط اختيار القضاة على المجتمع

تحقيق العدالة الاجتماعية: وجود قضاة أكفاء يضمن أحكامًا عادلة ومتوازنة.

الحد من الفساد: اختيار قضاة نزيهين يقضي على مظاهر الفساد داخل النظام القضائي.

تعزيز الاستقرار: قضاء قوي ومستقل يؤدي إلى استقرار الدولة وازدهارها.

استعادة الثقة: اختيار القضاة بعناية يعيد ثقة الناس في المؤسسة القضائية، مما يدعم النظام العام.

أهمية تطبيق الشريعة بتوازن:

الفصل الثالث سياسة القضاء في عصر ابن خلدون ودوره الاصلاحي

المبحث الأول السياسية القضائية ودور ابن خلدون في إصلاحها

المطلب الأول: لمحة عن السياسية القضائية في عصر ابن خلدون:

كان الخلفاء والملوك يقلّدون القضاء لغيرهم وإن كان ممّا يتعلّق بهم لقيامهم بالسّياسة العامّة وكثرة أشغالها من الجهاد والفتوحات وسدّ الثّغور وحماية البيضة، ولم يكن ذلك ممّا يقوم به غيرهم لعظم العناية فاستحقّوا القضاء في الواقعات بين النّاس واستخلفوا فيه من يقوم به تخفيفا على أنفسهم وكانوا مع ذلك إنّما يقلّدونه أهل عصبيّتهم بالنّسب أو الولاء ولا يقلّدونه لمن بعد عنهم في ذلك. وأمّا أحكام هذا المنصب وشروطه فمعروفة في كتب الفقه وخصوصا كتب الأحكام السّلطانيّة. إلّا أنّ القاضي إنّما كان له في عصر الخلفاء الفصل بين الخصوم فقط ثمّ دفع لهم بعد ذلك أمور أخرى على التّدريج بحسب اشتغال الخلفاء والملوك بالسّياسة الكبرى واستقرّ منصب القضاء آخر الأمر على أنّه يجمع مع الفصل بين الخصوم استيفاء بعض الحقوق العامّة للمسلمين بالنّظر في أموال المحجور عليهم من المجانين واليتامى والمفلسين وأهل السّفه وفي وصايا المسلمين وأوقافهم وتزويج الأيامى عند فقد الأولياء على رأي من رآه والنّظر في مصالح الطّرقات والأبنية وتصفّح الشّهود والأمناء والنّوّاب واستيفاء العلم والخبرة فيهم بالعدالة والجرح ليحصل له الوثوق بهم وصارت هذه كلّها من تعلّقات وظيفته وتوابع ولايته، وقد كان الخلفاء من قبل يجعلون

ISSN: 2462-2508

للقاضي النّظر في المظالم وهي وظيفة ممتزجة من سطوة السّلطنة ونصفة القضاء وتحتاج إلى علوّ يد وعظيم رهبة تقمع الظّالم من الخصمين وتزجر المتعدّي وكأنّه يمضي ما عجز القضاة أو غيرهم عن إمضائه ويكون نظره في البيّنات والتّقرير واعتماد الأمارات والقرائن وتأخير الحكم إلى استجلاء الحقّ وحمل الخصمين على الصّلح واستحلاف الشّهود وذلك أوسع من نظر القاضي.

وكان الخلفاء الأوّلون يباشرونها بأنفسهم إلى أيّام المهتدي من بني العبّاس وربّما كانوا يجعلونها لقضاتهم كما فعل عمر رضي الله عنه مع قاضيه أبي إدريس الخولانيّ وكما فعله المأمون ليحيى بن أكثم والمعتصم لأحمد بن أبي داود وربّما كانوا يجعلون للقاضي قيادة الجهاد في عساكر الطّوائف وكان يحيى ابن أكثم يخرج أيّام المأمون بالطّائفة إلى أرض الرّوم وكذا منذر بن سعيد قاضي عبد الرّحمن النّاصر من بني أميّة بالأندلس فكانت تولية هذه الوظائف إنّما تكون للخلفاء أو من يجعلون ذلك له من وزير مفوّض أو سلطان متغلّب، وكان أيضا النّظر في الجرائم وإقامة الحدود في الدّولة العبّاسيّة والأمويّة بالأندلس والعبيديّين بمصر والمغرب راجعا إلى صاحب الشّرطة وهي وظيفة أخرى دينيّة كانت من الوظائف الشّرعيّة في تلك الدّول توسّع النّظر فيها عن أحكام القضاء قليلا فيجعل للتّهمة في الحكم مجالا ويفرض العقوبات الزّاجرة قبل ثبوت الجرائم ويقيم الحدود الثّابتة في محالّها ويحكم في القود والقصاص ويقيم التّعزير والتّأديب في حقّ من لم ينته عن الجريمة.

ثمّ تنوسي شأن هاتين الوظيفتين في الدّول الّتي تنوسي فيها أمر الخلافة فصار أمر المظالم راجعا إلى السّلطان كان له تفويض من الخليفة أو لم يكن وانقسمت وظيفة الشّرطة قسمين منها وظيفة التّهمة على الجرائم وإقامة حدودها ومباشرة القطع والقصاص حيث يتعيّن ونصب لذلك في هذه الدّول حاكم يحكم فيها بموجب السياسة دون مراجعة الأحكام الشّرعيّة ويسمّى تارة باسم الوالي وتارة باسم الشّرطة وبقي قسم التّعازير وإقامة الحدود في الجرائم الثّابتة شرعا [1]

المطلب الثاني: أسباب كثرة توليه منصب القضاء وعزله من هذا المنصب

ولي ابن خلدون القضاء في دولة المماليك خمس مرات، خبر خلالها حال مؤسسة القضاء وما اعتراها من فساد سواء في ذلك القضاة أنفسهم، أم نوابهم أم الشهود، ورأى بنفسه التدخلات الأميرية في تعيين القضاة، وفي أقضيتهم أيضا؛ فكانت له رؤيته لإصلاح ذلك، وناله بسببها أذى كثير قال ابن حجر (ت:852ه) "وحصل له من الإهانة ما لا مزيد عليه، وعُزل."

وقد أوضح ابن خلدون تجربته الإصلاحية العملية في القضاء وما ناله بسبب مواقفه فيه، في كتابه: (التعريف)، ثم إنه بعد عزله عن القضاء في المرة الثالثة كتب رسالة خاصة للقضاة سماها: (مزيل الملام عن حكام الأنام) ضمنهما رؤيته النظرية لإصلاح مؤسسة القضاء، حيث قدم ابن خلدون في هذين المؤلفين رؤية إصلاحية شاملة لمؤسسة القضاء، وذلك من خلال عرض رؤيته العلمية وخبرته العملية التي ترفع شأن القاضي، وتزيل اللوم عنه.

أهم الأسباب التي كانت وراء عزله من القضاء أكثر من مرة ترجع إلى ما يلي :

(1) ابن خلدون، كتاب تاريخ ابن خلدون، 276/1

ISSN: 2462-2508

1- القضاة :رأى ابن خلدون أن الفساد قد فشا بين القضاة وعم، وأنهم يتحملون جزءا كبيرا من فساد مؤسسة القضاء كلها، سواء من حيث سعيهم لتولي المنصب بالبرطلة والبذل، أم من حيث سكوتهم على فساد الشهود، والخضوع للتدخلات الأميرية في أقضيتهم، أو غيرها من جوانب الفساد؛ ذكر ذلك كله عند حديثه عن سياسته في إصلاح الفساد الذي عم مؤسسة القضاة، وأنهم -أي القضاة- لم يوافقوه على منهجه ذلك، بل إنهم دعوه إلى "مرضات الأكابر، ومراعاة الأعيان، والقضاء للجاه بالصور الظاهرة."[1]

2-التدخلات الأميرية في القضاء :كان مما خبره ابن خلدون في مؤسسة القضاء وتعرض له: التدخلات الأميرية في أقضية القضاة؛

ولكنه كان يعرض عنها ويردها، وقد تسبب ذلك بعزله عن القضاء مرة، وعن ولاية خانقاه بيبرس مرة أخرى، قال ابن تغري (ت:874ه) واصفا ولاية ابن خلدون للقضاء: "فباشره بحرمة وافرة، وعظمة زائدة، وحمدت سيرته، ودفع رسائل أكابر الدولة، وشفاعات الأعيان، فأخذوا في التكلم في أمره، ولا زالوا بالسلطان حتى عزله."

3- المشغبون على القضاة :وقد أبان ابن خلدون في كتابه: (التعريف) أن الفساد قد ينخر مؤسسة القضاة من بعض أصاغر المفتين الذين "يتشبثون بأذيال الطلب والعدالة ولا يكادون"، وقد كانوا يفتون الخصوم بعد صدور حكم القاضي متتبعين شعاب الخلاف في المذاهب "فتتعارض الفتاوى وتتناقض، ويعظم الشغب بعد نفوذ الحكم"؛ فذكر من سياسته في إصلاح فسادهم فقال: "فصدعت في ذلك بالحق، وكبحت أعنَّة أهل الهوى والجهل، ورددتهم على أعقابهم."

ثم ذكر صنفا آخر من هؤلاء الأصاغر قال وهم: "ملتقطون سقطوا من المغرب يشعوذون بمفترق من اصطلاحات العلوم هنا وهناك، ولا ينتمون إلى شيخ مشهور، ولا يعرف لهم كتاب في فن"، وقد كان هؤلاء يجلسون في الزوايا، ويضطر بعض الناس لتحكيمهم في الحقوق "فيحكمون بما يلقي الشيطان على ألسنتهم يترخصون به للإصلاح لا يزعهم الدين عن التعرض لأحكام الله بالجهل"، فكان من سياسته في دفع فسادهم ما قاله: "فقطعت الحبل في أيديهم، وأمضيت أحكام الله فيمن أجاروه، فلم يغنوا عنه من الله شيئا، وأصبحت زواياهم مهجورة، وبئرهم التي يمتاحون منها معطلة ".[2]

اختيار القضاة الصالحين:

رأى ابن خلدون أن الفساد قد فشا بين القضاة وعم، وأنهم يتحملون جزءا كبيرا من فساد مؤسسة القضاء كلها، سواء من حيث سعيهم لتولي المنصب بالبرطلة والبذل، أم من حيث سكوتهم على فساد الشهود، والخضوع للتدخلات الأميرية في أقضيتهم، أو غيرها من جوانب الفساد؛ ذكر ذلك كله عند حديثه عن سياسته في إصلاح الفساد الذي عم مؤسسة القضاة، وأنهم -أي القضاة- لم يوافقوه على منهجه ذلك، بل إنهم دعوه إلى

(1) عبد المعين الطلفاح، رؤية ابن خلدون لاصلاح مؤسسات القضاء، ص 201.

(2) عبد المجيد الطلفاح، رؤية ابن خلدون لإصلاح مؤسسات القضاء، دكتوراه في الفقه واصوله جامعة قطر.

ISSN: 2462-2508

"مرضات الأكابر، ومراعاة الأعيان، والقضاء للجاه بالصور الظاهرة."

رأى ابن خلدون أن أول خطوة في إصلاح ذلك الفساد إنما تكون في أن يؤسس القاضي أموره على النيات الصالحة في توليه القضاء أولا، ثم في تفاصيل ذلك ثانيا، فينوي بتقلده القضاء أن يبرز لإقامة نظام العالم، وبث العدل في الخلائق امتثالا لقوله تعالى: {فَأَصْلِحُوا بَيْنَهُمَا بِالْعَدْلِ وَأَقْسِطُوا إِنَّ اللَّهَ يُحِبُّ الْمُقْسِطِينَ} [الحجرات: 9]، وإذا ما جلس في منصب القضاء أن يستحضر أنه انتصب خليفة لله العظيم في الحكم بين عباده لينفذ أحكامه، لا أحكام غيره من خلقه وعبيده، وأنه **بمرأى** من الله ومسمع[1].

الخاتمة: وفيها: أهم النتائج : توصل الباحث إلى عدد من النتائج أهمها :

1- كان ابن خلدون من مصلحي القضاء وتطوره في شتى ادواره.

2- موسوعيه شخصية القاضي ابن خلدون واكتسابه الكثير من المعارف والعلوم. كان له اثر كبير على شخصيته وقيادته.

3- قرر ابن خلدون كثير من القواعد والإجراءات التي كان لها دور في إصلاح منظومة القضاء في عصره وأهمها :

تطبيق مبدأ المساواة

ضبط وسائل الإثبات.

تنفيذ أحكام القضاء.

سن التعزيرات في حق المتنفذين.

الاهتمام بالاستقرار السياسي والقانوني.

حسن اختيار القضاة.

4- كان للظروف السياسية والاصطرابات التي عاصرها ابن خلدون تأثير واضح في فكرة وتقريراته حول مسألة الدولة وعلاقتها بالدين وثيق بالاجتماع الانساني وغيرها.

قائمة المصادر والمراجع

1. الذهبي، محمد بن أحمد، **المنتقى من منهاج الاعتدال**، تحقيق: محب الدين الخطيب، الرئاسة العامة لدار البحوث العلمية، والإفتاء والدعوة والإرشاد، السعودية، 1413هـ.

2. الشاطبي، إبراهيم بن موسى، **الموافقات في أصول الأحكام**، علق عليه محمد الخضر الحسين، دار الفكر، بيروت، 1341هـ.

3. الرازي، محمد بن أبي بكر بن عبد القادر، **مختار الصحاح**، عنى بترتيبه يوسف الشيخ محمد، ط5 المكتبة العصرية - الدار النموذجية، بيروت – صيدا، 1420هـ.

4. الخطيب الجوهري،**نزهة النفوس والأبدان في تواريخ الأزمان**، علي بن داود، تحقيق : حسن حبشي، مطبعة دار الكتب، مصر، 1970م.

5. بلقزيز، عبدالله، **الخطاب الإصلاحي في المغرب**، دار المنتخب، بيروت، ط1، 1997م.

6. القرافي، **الفروق**، الناشر: عالم الكتب، الطبعة: بدون طبعة وبدون تاريخ .

(1) عبد المجيد الطلفاح، رؤية ابن خلدون لإصلاح مؤسسات القضاء، دكتوراه في الفقه واصوله جامعة قطر. 2024هـ.

ISSN: 2462-2508

7. الفيومي، أحمد بن محمد، **المصباح المنير في غريب الشرح الكبير**، المكتبة العلمية – بيروت. د.ت.

8. – المطرزي، ناصر بن عبد السيد أبي المكارم، **المغرب في ترتيب المعرب**، د.ط، الناشر: دار الكتاب العربي، د.ت.

9. الزبيدي، محمد بن محمد، **تاج العروس من جواهر القاموس**، المحقق: مجموعة من المحققين، د.ط، الناشر دار الهداية، د.ت.

10.التويجري، محمد بن إبراهيم بن عبد الله، **موسوعة الفقه الإسلامي**،، ط1، 1430هـ.

11.لجنة التأليف والنشر، **التعريف بابن خلدون ورحلته غربًا وشرقًا**، تحقيق محمد تاويت الطنجي، مصر،،1951م.

عبد الرحمن بن خلدون، **مقدمة ابن خلدون تحقيق الدكتور علي عبد الواحد وافي**، المجلد الأول من ص 337- 346. والدكتور على بدوي: مؤلفات ابن خلدون

12.محمود، علي عبد الحليم،**فهم أصول الإسلام في رسالة التعاليم**، دار التوزيع والنشر الإسلامية، القاهرة،ط1، 1994م.

13.ابن منظور، محمد بن مكرم بن علي، **لسان العرب**،، مادة فتا، ط3، دار صادر، بيروت، 1414هـ

14.محمد بن مكرم،ابن منظور،(ت711هـ)، **لسان العرب**، ط3، دار صادر، بيروت، مادة (صلح) .1414هـ.

15.محمد الخضر حسين،**حياة ابن خلدون**، ومُثل من فلسفته الاجتماعية، 2014ه-

16.ابن عطية الأندلسي، **المحرر الوجيز**، غالب بن عطية، تحقيق: عبد السلام عبد الشافي محمد، المحرر الوجيز، د.ط، دار الكتب العلمية، 1422هـ

17.عبد الكريم زيدان، **أصول الدعوة**، ط9، سنة النشر، 1423.

18.عبد المجيد الطلفاح، **رؤية ابن خلدون لإصلاح مؤسسات القضاء**، دكتوراه في الفقه واصوله جامعة قطر. 2024هـ.

19.ابن فارس، **معجم مقاييس اللغة**، المحقق: عبد السلام محمد هارون الناشر: دار الفكر، عام النشر: 1399هـ - 1979م..